تنـــازع اللغات

في طائفة من الكلمات

لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

إن من أشق الامور على من كلف الكلام فى الحفلات اختيار موضوع كلمة لحفلة مثل حفلتكم ، أقيمت لافتتاح أعمال مجمع لغوى مثل مجمعكم : إذ لا يحسن بالمتكلم إذ ذاك إلا أن يكون موضوع بحثه مما له علاقة باللغة وسلامتها ، أو اتصال بتاريخها وبحوث آدابها . وبحوث اللغة أيها السادة قد يعتريها سوء تعبير ، ويلحق بها أحيانا شيء من جفاء وجفاف ، فما أحوج المتكلم اللغوى إلى التلطف فى جمال العرض . وحسن الإيراد ولصاعة البيان

وهى خطة أصبحت لا أجيدها ، ولا أطيق الجولان فى ميادينها . وماذا أصنع وقد ذكر اسمى فى جملة خطباء الحفلة من دون أن أستشار ، أو يجعل لى اختيار ، فى تلمس الأعذار

وبعد لأى هديت إلى بحث لغوى رأيته يلائم الزمان والمكان . غير أنى لما وزنته ، وحاولت إفراغه فى قالبه وجدته فى حاجة إلى أن أذكر السبب فى اختياره ، والداعى إلى جمع مسائله وتقييد أوابده

وإذا بى أرجع إلى ذكرى حادثة قد تسمى تاريخية . وقد تسمى مصرية . وبغلب على الظن أنها لم تدون بعد . فأزمعت تدوينها كمقدمة لبحثى اللغوى ، أو كصفحة من تاريخ الوادى ومفاخرات أبنائه فى سبيل استقلاله

وبدل أن تقع المقدمة فى كلمات . إذا هى استوعبت صفحات . وفيها من الخبر ما يحسن وقعه ، ويطيب لكم أيها الإخوان سمعه :

ألا تحبون أن تسمعوا أن الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله نجح فى إقناع (جمال باشا) قائد الجيش الرابع فى الحرب العالمية الأولى (حرب سنة ١٩١٤م) — إقناعه باسترداد المدرسة الصلاحية فى القدس من أيدى الرهبنة الفرنسية المسماة بالآباء البيض (Les peres blanes) وإرجاع تلك المدرسة سيرتها الأولى : مدرسة دينية أزهرية عمائمية لكنها عصرية باسم (الكلية الصلاحية) نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى كان بنى تلك المدرسة على ظهر مغارة كانت تأوى إليها السيدة حنة وطفلتها السيدة مريم . وكان هذا من صلاح الدين بعد أن أنقذ بيت المقدس من براثن الصليبيين ، وجعل المدرسة داراً للحديث باسم السادة الشافعية

نجح الشيخ شاويش فى هذا وفاز بأمنيته ، وباشر تأسيس الكلية وترتيب فصولها وتنظيم برامجها

ودعيت من (طرابلس الشام) إلى معاونته فى عمله . فلبيت الطلب ، وأسرعت إلى القدس أهدى من القطا الكدرى ، وأعلن خبر افتتاح الكلية الصلاحية فى طول البلاد وعرضها ، وأجتلبت الأساتذة إليها ، وأقبل الطلاب من كل حدب عليها . وكانوا يؤمونها لا لطلب العلم وحده بل للتخلص من أهوال حرب كانوا يعتقدون أنها شر وبلاء عليهم وعلى دولتهم . وكان الخلاف بين الترك والعرب لحين نشوب تلك الحرب فى منتهى شدته ، وعلى أحر جمرته

وكان من أساتذة الكلية المرحوم محمد رستم حيدر الوزير العراق ، والمرحوم إسعاف النشاشيبى الأديب الفلسطينى ؛ ومن طلابها المرحوم محمد الأمين البيرونى رئيس وزراء شرق الأردن . وعباس باشا ميرزا الشركسى وزير داخليتها اليوم ، والشيخ يوسف ياسين الوزير السعودى ، وصبحى بك الخضرا السياسى الفلسطينى . وليس الشأن أيها السادة فى هؤلاء وأولئك ، وإنما الشأن فى رهط من أبناء مصر الأحرار أووا إلى الكلية فى ذلك الحين العصيب كما أوى فتية أهل الكهف إلى كهفهم . فخصص لهم نقيبهم الشيخ شاويش جناحا من بناء الكلية : فكانوا يقيمون فيه ولا يبرحونه إلا ريثما يتناولون قوتهم فى مطاعم المدينة . ثم يأوون إلى كهفهم من دون أن يشعر بهم أحد

ولا غرو أن يكون مدار حديث هؤلاء الفتية فى خلوتهم على الحرب ونتائجها ، والدولة التركية ومناهجها ؛ وكنت أنا وصديق

نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ فى حفلة افتتاح مؤتمر المجمع

الشيخ شاويش ننظر فى أمور الكلية وقبول الطلاب الحائزين للشروط، وتريح أنفسنا أحيانا بزيارة الفتية فى كهفهم، بل الأشبال فى عرينهم

وما كان أشد اغتباطى حين أخذنى الشيخ شاويش من يدى لأول وصولى إلى الكلية. وجاء بى إلى أولئك الأشبال فى منامتهم. هذا مستلق على سريره وبيده كتاب، وآخر منتبذ ناحية يقرأ جريدة، وذاك ينفض الغبار عن معطفه، وهنالك من يأمر الفراش ببعض حاجته

وقدمنى إليهم صديق شاويش باسم (الغربى) المحرر فى جريدة المؤيد منذ خمس سنين

فهشوا إلى لقيانى. وأخذت أعانق من أعرف، وأصافح من لم أكن أعرف؛ ثم قال لى الشيخ شاويش:

هذا فؤاد بك سليم، وهذا الدكتور أحمد فؤاد المصرى نزيل الآستانة، وهذا عبد الملك حمزة بك، وهذا عوض بحراوى بك، وهذا فلان: وأشار إلى واحد منهم سماه باسم إسماعيل بك، بل قد نسيت إن كان (إسماعيل) اسما له أو اسما لأبيه. وكان هذا الفتى النجيب مربوع القامة أبيض اللون بدينا. وكان أكثرهم مرحا وتفاؤلا وأقلهم مبالاة بما تأتى به الأقدار

وقضينا أيها السادة مع هؤلاء الفتية المؤمنين بربهم وبوطنهم ساعة من الزمن فى مطايبة ومفاكهة وأحاديث مختلفة

ثم كنت أزورهم من وقت إلى آخر. وكان الشيخ شاويش يغيب عن الكلية لمراجعة مقر القيادة التركية فى بعض المهام ويترك الأشبال فى عرينهم ينتظرون إيابه بلهف وفرط استشراف. وكانوا فى غيبته حينا يفكرون ويقدرون، وطوراً يزأرون من الغيظ ويزمجرون. ثم يعود الشيخ إليهم بما يسرهم تارة، ويؤلمهم تارة أخرى.

كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

واتفق ذات ليلة أيها السادة أن تركت غرفتى وتخطيت الرواق المؤدى إلى عرين الأشبال أزورهم. وكان يتدلى من سقف الرواق قنديل قديم من قناديل الأديرة يتنفس عن أشعة ضئيلة لا تتبين معها الأشباح إلا بصعوبة؛ وإذا بشبح كالملاق يعترضنى ويأبى بتجاليده على قبل أن يتوسمنى أو يتبين من أنا، فسألته قائلاً:

— من يكون حضرة الأخ؟

— عبد الحميد سعيد (قالها بلهجة المشتاق المتحبب وعجب من سؤالى مع أن طوله وعرضه رحمه الله ينبئان عن شخصه ثم قال)

— ألست الشيخ عبد العزيز شاويش؟

— لا: بل أنا عبد القادر صديق الشيخ شاويش ومغربى مثله

فتبسم ضاحكا من قولى وعجب من هذا الشبه بينى وبين صديقه. وانقلبنا إلى مأوى الأشبال مشتبكى الذراعين تحدثهم بما وقع. فقامت فيهم ضجة صاخبة مرحة قلت من العبوس، ورفهت بعض الشىء عن مخاوف النفوس، وكان (عبد الحميد بك سعيد) حين جئت الكلية من طرابلس غائبا فى قضاء مهمة وراء منطقة القدس. فلما رجع ودخل على إخوانه هللوا لقدمه؛ وكان أول ما سألهم عن صديقه الشيخ شاويش فقالوا: هو فى المنامة الكبرى يتعقد الطلاب قبل نومهم، فلم يطق صبراً عنه وخف إليه مسلما عليه. فصادفنى فى الرواق وكان من أمرنا ما كان

والأشبال فى أحاديثهم أيها السادة قلما كانوا يتخطون المشاكل الدولية عامة، والمسألة المصرية خاصة. وكانوا يتفحصون أخبار الغزاة، ويستطلعون طلع الحركات والمقارنة بين الاستعدادات. وكثيراً ما كانت تقع بينهم مناظرات فى أى الأعمال والمساعى أنجح؟ فترتفع أصواتهم، وتحتدم نار الجدل بينهم. وكان أقواهم حجة وأعنفهم لهجة، ذلك البطل المصرى، باقعة السياسة (الدكتور أحمد فؤاد): فإن إقامته فى الآستانة أكسبته مرانا فى الجدل وسعة اطلاع على المناورات الدولية وتفقها فى أسرار القضية المصرية

وكنت إذا زرتهم خفقوا من الخوض فى السياسة وأفاضوا فى العلم واللغة والأدب وتاريخ العرب وتناشدوا شعر شوقى وحافظ، وتطارحوا النوادر ومستملح النكت على الطريقة المصرية التى مرن إخواننا المصريون عليها، ويقف غيرهم مبهوتا حواليها. ولذا كنت إذا شاركتهم فى الحديث فملت بشىء من الحذر والتهيب منشداً بينى وبين نفسى:

أقول لحرز لما التقينا تنكب لا يقطرك الزحام

وتذاكرنا يوما فضلاء مصر وكبار أدبائها . فقلت لهم : إن من رجال مصر ثلاثة أشتركوا فى الاسم ، وسمة الفضل والعلم . وتسميتهم لهم (الأباره) والأباره أيها السادة جمع إبراهيم . وأردت بهم الأساتذة إبراهيم اللقاني، وإبراهيم الهلباوى، وإبراهيم الويلحى. رحمهم الله

فهب الأشبال للمجادلة فيهم ، وإعمال الموازنة بينهم . فقلت ليس غرضى التحدث عن درجاتهم فى الفضل وإنما الغرض التعجب من اتفاقهم فى الاسم . وأن يكون لهم أوفر سهم فى الأدب واللسن وصنوف العلم . فقال بحراوى بك : إذن لا تنس يا أستاذ الأحامد الثلاثة وهم أصحاب السعادة: أحمد بك الحسينى ، وأحمد بك تيمور ، وأحمد بك زكى

قلت : وأزيدك أنهم مع اشتراكهم فى الاسم تراهم شركاء فى حب الكتب واقتنائها والولوع بجمعها والبحث عنها هنا وهناك ولدى كل منهم مكتبة لا نظير لها . ولم يكد يرتد إلى صوتى حتى علا من زاوية المكان صوت استنكار لما قلت . وإذا هو فؤاد بك سليم ينكر على أن تكون مكتبات (الأحامد) أجمع لنفائس الكتب ونوادر المخطوطات من مكتبة والده . وإذا الإخوان يخبرونني بمكانة والده فى المجتمع المصرى وعلو كعبه فى شرف المحتد وهو عبد اللطيف باشا سليم . وشهدوا بأن مكتبته لا تضاهيها مكتبة فى مصر . فقلت : وهل يسمى الباشا بأحمد ؟ قالوا لا قلت لا داعى إذن للمعارضة إذ أن المقام مقام (أباره) و (أحامد) لأمقام إحصاء هواة الكتب . ولاحظت أن فى فؤاد بك رحمه الله شيئاً من أرستقراطية وتمجد بالنسب

ثم رجعنا إلى التحدث فى الأخبار العامة . وكان كثيراً ما يتخلل كلامنا ذكر (القنال) . وكنا نستعمل لفظ (القنال) أكثر مما نستعمل لفظ (الترعة) . فصاح بنا (الدكتور أحمد فؤاد) معترضا على من يقول القنال وقال القنال لفظ فرنسى ولفظ (الترعة) العربى أفضل منه وأكرم عند الله . فسألنى الإخوان إذ ذاك عما إذا كان لفظ (قنال) عربيا أو فرنسيا ؟

فقلت هو من جملة الألفاظ المولدة التى تبنتها اللغة العربية وينازعها فيها غيرها من اللغات : كالفارسية واليونانية والحبشية والسريانية وأخيراً التركية ثم الفرنسية .

أقول : وهذه الكلمات المتنازع فيها كثيرة يصح أن يؤلف فيها معجم صغير . واستحسن زميلنا العلامة رضا الشبيبى أن يسمى هذا المعجم باسم (الوغى فى ميادين اللغى) وإنى لذاكر لكم أيها السادة من هذه الكلمات المتنازع فيها ثلاثة أمثلة . وأبتدئ القول فى كلمة (القنال) التى كانت السبب فى إثارة هذا البحث (أى بحث تنازع اللغات فى بعض الكلمات) فالقنال لفظ عربى وقد نازعت اللغة العربية فيه اللغة الفرنسية فهى (فى الفرنسية) تدعى أنه منها وإليها ، وتزعم أن أصل القنال باللغة اللاتينية (Canalis) أما اللغة العربية فتقول إن القنال كلمة عربية مولدة منحوتة من كلمتى (قنا الماء) أو (قنا البحر) وربما كان الفرنسيون هم الذين جروا فى فرنستها مجرى أميرال فإن لفظ (أمير) أضيف إليه اللام من كلمة (البحر) إذ أن الأصل أمير البحر . فلم يعجب قولى هذا (فؤاد بك سليم) فصاح من زاويته العاجية : وما تقول يا أستاذ فى أخوات أميرال وهى الماريشال والجنرال والكابورال؟ هل الفرنسيون نحتوها من العربية أيضا ؟ فقلت : إن لفظ (أمير) من أميرال عربى قطعاً بخلاف أخواتها فإنها فرنسيات بجميع حروفها. وأمير البحر اسم لكبير الربابنة فى اصطلاح مؤرخى العرب، وقد استعمله الفرنسيون أولا بتمام لفظه أعنى أمير البحر، ثم نحتوا منهما كلمة (أميرال) لتكون على وزن كلماتهم (ماريشال جنرال كابورال)

وهكذا الحال فى (قنال) أصلها قنا البحر أو قنا الماء ، وقنا جمع قناة بمعنى مجرى الماء، فنحتوا من قنا الماء (قنال) اسما لمجرى الماء الواسع المسمى بالعربية الفصحى ترعة

ومثل هذا النحت فى العربية الفصحى قولهم عقابيل المرض، وعقابيل الحمى اسم للبثور التى تظهر على المريض عقبى الحمى فنحت العرب منهما أى من عقبى الحمى (عقبل) ولكن اشتهر عقبل بلفظ جمعه أعنى عقابيل

ومن أمثلة هذا النحت فى الألفاظ العربية المولدة ما جاء فى لهجة السوريين وهو قولهم دحل الأرض بالمدحلة أى رصها وسواها . وأصله (أى أصل دحل) دحا الأرض يدحوها بالمدحاة ، فنحتوا من دحا الأرض فعل (دحل) باللام المنحوتة من أل

ومثله فى هذا النحت اسم عائلة تجارية مشهورة فى (بمباى) و (جدة) وهم زينل إخوان منحوت اسمهم من اسم جدهم (زين العابدين)

عندها كثر الجدال بين الأشبال فى أى القولين أرجح : عجمة القنال أو عروبته ؟

نتركهم فى حوارهم ونعمد إلى مثال آخر من أمثلة التنازع الواقع بين العربية واللغة الفارسية. وهو كلمة (عنبر) اسما لمخزن الغلة والقمح . وقد قال بعض الفضلاء إن عنبر فارسية الأصل محرفة من كلمة (أنبار) الفارسية بدليل أن الفرس القدماء سموا إحدى مدنهم فى العراق (أنبار)

فقلت : ولكن المعاجم العربية وخاصة معجم البلدان لياقوت تذكر أن (أنبار) عربية وأنها جمع (نبر) بمعنى الحرى الذى يجمع على أهراء . وهى أى الأهراء مخازن الغلال كالأنبار

وأزيد على ذلك أن جماعة من عرب تنوخ فى عهد ملوك الفرس الأقدمين المشهورين بملوك الطوائف نزلوا مدينة (الأنبار) الفارسية العراقية وكان اسمها بالفارسية فيروزسابور (perisapour) فرأى فيها التنوخيون أكوام الغلال مرتفعة هنا وهناك فسموا مدينة (فيروزسابور) باسم (أنبار) لكثرة ما رأوا فيها من أنبار الغلال . وبقى الاسم غالباً عليها إلى اليوم . والنبر فى اللغة العربية بمعنى الارتفاع ومنه النبر ونبرات الصوت . ثم حرفت كلمة (أنبار) إلى عنبر بالعين المهملة

ومثال النزاع بين العربية واللغة العبرانية كلمة (شمر) اسما للكلام المقفى الموزون . لاجرم أنها عربية مشتقة من شمر بالشئ إذا علمه . وشمراء العرب هم علماؤهم . وذهب بعض المستشرقين إلى أن كلمة (شمر) عبرانية الأصل محولة عن كلمة (شير) التى هى فى العبرانية بمعنى ترتيلة وتسبيحة وفى كتاب (فجر الإسلام) (جزء ١ عدد ٦٩) للعلامة أحمد أمين ما يشعر بترجيح بعضهم لعبرانية شمر

وأمثلة التنازع بين العربية وغيرها كثيرة كما قلنا . وإن كثرتها وضيق الوقت يحولان دون الإفاضة فيها :

فكلمات موسيقى وقهوة وقازوز وقرش وفرن وفانوس وبارود وبندقية وقبعة وسراب وميزاب وعسكر - كلها عربيات. واللغات الأخرى تنازعنا فى عزوبتها فأرجئ الكلام عليها وتحرير النزاع فيها إلى إحدى جلسات المجمع المقبلة

على أننا مهما تسامحنا فى عروبة تلك الكلمات لا يحسن بنا أيها السادة أن نتسامح فى (القنال) لظهور أدلتنا على عروبته فلنتمسك بحقنا فيه مهما كلفنا الأمر

* * *

هذه هى كلمتنا أيها السادة . وخير ما فيها مقدمتها وما تضمنته من ذكرى أولئك الأشبال الأحرار الذين وفوا لربهم نذرهم ، وقضوا فى سبيل وطنهم نحبهم ، سوى واحد منهم قد مد الله فى عمره ، ليرى حسن عاقبة صبرهم وصبره

وما أحقهم برثاء الشاعر الذى فجع بإخوان له مثلهم إذ قال

هبت قبيل تبلج الفجر ... هند تقول ودمعها يجرى
أقذى بعينك لا يفارقها ... أم عار أم مالها تذرى ؟
أم ذكر إخوان فجعت بهم ... سلكوا طريقهمو على خبر
فأجبتها بل ذكر مصرعهم ... لا غيره عبراتها يجرى
يارب اسلكنى طريقهمو ... ذا العرش واشدد بالتقى أزرى

عبد القادر المغربى

وزارة الحربية والبحرية

تقدم عطاءات بديوان الوزارة لغاية ظهر يوم ٦ يناير سنة ١٩٥١ عن توريد دفاتر وكراسات وخلافه لازمة لسلاح الأسلحة والمهمات الملكى لعام ١٩٥٠ وتطلب الشروط على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما من إدارة المقود والمشتريات بالوزارة مقابل مبلغ ٢٤٠ مليم وأجرة البريد ٤٠ مليما ٦٩٦٦